ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

هرابات المياه النبطية في سيناء

بقلم: تامر العراقي

إن المياه هي عصب الحياة، قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؛ ولذلك لزم الإنسان البدائي المعيشة بالقرب من مصادر المياه. بعد ذلك بدأ يتعلم ويبتكر أساليب لتخزين المياه والحفاظ عليها. وواحد من أهم هذه الأساليب والابتكارات انتشر وتطور في عهد دولة الأنباط. فقد أنشأ الأنباط دولتهم وبلغت أقصى اتساع لها في أواخر القرن الأول قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول الميلادي. واشتملت مملكتهم على أجزاء من جنوب سوريا، وشمال الأردن، وحوران، وجنوب الأردن، والنقب، وسيناء، وأجزاء من الصحراء الشرقية لمصر؛ بالإضافة إلى أجزاء من شمال غرب الجزيرة العربية (الحجر). وقد انتعشت هذه المملكة خلال الفترة الهلينستية والفترة الرومانية المبكرة أي من القرن الأول الميلادي إلى سقوطها في عهد الإمبراطور تراجانوس. وقد استحدث الأنباط وطوروا نظامًا فعالًا في زراعة الأشجار والعنب والرمان، ومساقي لتوفير المياه لمدينة البتراء؛ لسد احتياجات المدينة، ولسقي البساتين.

وعلى الرغم من سقوط مملكة الأنباط على يد تراجان (تراجانوس) وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية، وإطلاق اسم «الكورة العربية» عليها أي الولاية العربية؛ حيث أطلق عليها الرومان Provinia Arabech؛ فقد ظل الأنباط يقومون بالتجارة بين حاضرات الشرق الأوسط في كلٍّ من مصر، وأشور، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وبلاد الهند وغيرها. واستمروا في ذلك لعدة قرون بعد سقوط مملكتهم.

فقد نقل الأنباط والمعينيون الكثير من المظاهر الحضارية من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الحجاز، مثل النظام المعماري في الفن والزخرفة والفخار والنسيج وغيرها. وبصفة عامة بدأ الازدهار الحقيقي للعلاقة التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها، وكذلك الطرق التجارية بين مصر وسوريا وبلاد الرافدين، ونشاط الحركة التجارية في الشرق الأدنى القديم. لذا طمع السلوقيون في شمال شبه الجزيرة، وكذلك الكلدانيون. فقد حاول الملك نبوخذ نصر السيطرة على المراكز التجارية والحضارية في شمال شبه الجزيرة العربية، مثل دومة الجندل، وتيماء، وديدان وغيرها.

وزينوا عاصمتهم البتراء أو (الرقيم) أو (سلع)، وهي المدينة الصخرية، بالقصور والمعابد والشوارع المعبدة، كما اخترعوا نظامًا جديدًا في الزراعة والري في الصحراء وعلى سفوح الجبال، واشتهروا بزراعة العنب والسمسم واستخراج زيت السمسم وصناعة النبيذ. فقد كانت تلك المنتجات ضمن أهم صادرات الأنباط إلى الدول المجاورة.

هرابات المياه النبطية

قد كان الأنباط أحرزوا تقدمًا كبيرًا في مجال هندسة المياه والري. فابتكروا تقنيات وأساليب ووسائل لجمع أكبر كمية من المياه، وقد أضفت هذه المنجزات صبغة التميز على حضارتهم. فقاموا ببناء القنوات الفخارية والحجرية، وأقاموا السدود لحجز مياه السيول والفيضانات. وأقاموا القناطر التي تحمل فوقها قنوات خاصة فوق الأودية، وشيّدوا الخزانات (الهرابات) والآبار التي تتوزع في أرجاء مملكتهم كافة. وتمكنوا من معالجة مشكلة نقص المياه في مواسم الجفاف. فقد أدى اتباع هذه الأنظمة المميزة والمتطورة إلى تخزين كميات أكبر من المياه، ومن ثم ازدهرت الزراعة عندهم. وهذا جعل استفادة الأنباط من الأراضي الزراعية استفادة تامة وكاملة في أرجاء مملكتهم كافة.

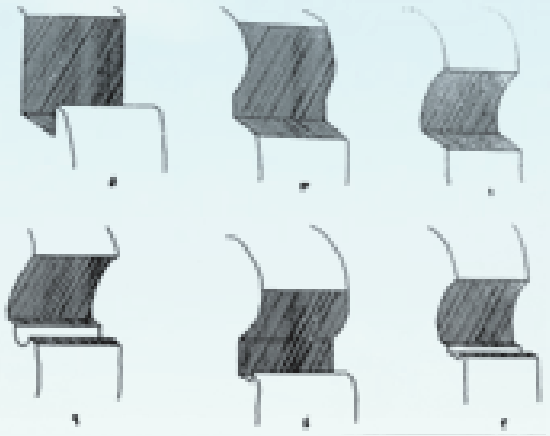

تقنية وهندسة نحت قنوات المياه داخل الصخور عند الأنباط، (عن زيدون المحيسن، هندسة المياه والري عند الأنباط العرب، ص ٢٤٤).

وقد برع الأنباط في عمليات تخزين وتصريف المياه التي أخذوها عن الأدوميين وسكان بحر إيجة وطوروها. واستغلوا موارد المياه المتاحة كافة باستثناء حفر الآبار الأرتوازية. وبرعوا أيضًا في حفر القنوات على الصخور لجمع كل قطرة ماء تسقط عليها، وتخزينها داخل سد أو بئر في الصخر. وأنشأوا قنوات لتوجيه مياه الينابيع وتجميعها في خزانات؛ لإعادة توزيعها على القرى والمدن. وبشكل عام كانت مياه الينابيع هي المفضلة للشرب، في حين استخدمت مياه تجميع الأمطار لسقي الحيوانات، وريّ المزروعات والحدائق، والاستحمام. وتمكنوا أيضًا من تطوير الزراعة سواء في المناطق الصحراوية القاحلة حاليًّا، أو في المناطق المشهورة بإنتاجها الزراعي، مثل سهول «حوران»، ومرتفعات «الشراه». وقاموا ببناء المصاطب الحجرية لاستغلال سفوح الجبال. كذلك اهتم المهندسون الأنباط بحماية مدنهم ومنشآتهم من أخطار الفيضانات. فقاموا

بتخفيف حدة جريان المياه، وإنشاء المدرجات الحجرية والترابية والسدود، وتحويل مجاريها بحفر القنوات والأنفاق.

ومن أهم المناطق التي استفادت من نظام تخزين المياه منطقة «بيضا» الواقعة غربي البتراء. وقد أنشأ الأنباط نظامًا مائيًّا ضخمًا في «حوراء» جنوب الأردن لخدمة القوافل والسكان المحليين، وبنوا أكثر من خمسين خزانًا وعدة سدود لحفظ مياه الأمطار.

وبمقارنة تلك الخزانات الموجودة في طرق استراحات ومحطات القوافل، بتلك التي وجدناها في سيناء وبجوارها نقوش نبطية، نجدها تتشابه إلى حد كبير، لكن يطلق عليها السكان المحليون من بدو سيناء مصطلح «هرابة». وقد أشار ديودورس الصقلي إلى الأنباط في حديثه، وذلك عقب الغارة الفاشلة التي قادها أنتجونيس سيد آسيا الصغرى على عاصمتهم البتراء. فقد قال: «إن النبطيين خلفوا الأدوميين في بلادهم. وأنهم عشرة الألف مقاتل لا شيبة لهم في قبائل البدو. وأن بلدهم الوعر القاتل ساعدهم على التمتع بالحرية والاستقلال؛ لأنهم كانوا يستغنون عن سائر العالم بصهاريج سرية مربعة الشكل منقورة في الصخور تحت الأرض، يخزنون فيها الماء. ولكل منها فوهة ضيقة وباطن واسع اتساعه ثلاثون مترًا مربعًا، يملأونها بماء المطر في الشتاء، ويحكمون سدها بحيث يخفى مكانها على غير العارف. ولها على فوتها علامات ترشدهم إليها لا يعرفها غيرهم؛ وهي الهرابات حيث يستعملها بدو سيناء إلى الآن».

والهرابة - كما تعرف جغرافيًّا - هي بركة أو حوض صناعي في مجرى السيل؛ وذلك لتخزين مياه الأمطار لفصل الصيف؛ لعدم سقوط الأمطار فيه، وكانت عادة تنقر في الصخر أو يتم استخدام الحجر والملاط في بنائها.

وقد أنشأها الأنباط في سيناء؛ لكي تحفظ الماء اللازم لشرب القوافل رجالًا وبعيرًا طول فترة الصيف، حيث تنعدم مصادر المياه في تلك الصحراء القاحلة. وكانت هذه الهرابات تُجمع في الصخور بشمال وجنوب سيناء لحفظ الماء فيها، حيث وجدت بالقرب من الطرق الرئيسية واستراحات ومحطات القوافل.

وقد تم الكشف عن العديد من الهرابات في أماكن مختلفة بسيناء. منها «هرابة ابن نافع» في سيل الخضيرة، و«هرابة المويلح» المنقورة بجوار «هرابة بن نافع»، و«هرابة أم أشطان»، بالإضافة إلى مساكن وهرابات ومقابر في «وادي الهراب» بالعجمة ووادي وتير، و«هرابة وادي الرميلة». ومن غريب الأمر أن تلك المواقع لم يصل إليها الإسرائيليون في أثناء احتلالهم لسيناء، ولم يصل إليها أحد أيضًا، وغير معروفة. أما في جنوب سيناء، فأسفرت المسوحات الأثرية عن اكتشاف «الهرابة الجاهلية» بالقرب من قرية الطرفة بسانت كاترين.

هرابة أم أشطان

كانت تلك الهرابة خزانًا للمياه، قد تم نحته في الجبل، ولكن في مستوى يُعَدُّ تحت سطح الأرض، حيث يمكن تجميع المياه فيها، واستخدامها بعد انتهاء موسم سقوط الأمطار.

وتتكون الهرابة من نصفين؛ نصف مكشوف ونصف مغطى. وتوجد أربعة أعمدة بداخل الهرابة منقورة تحت الجزء المغطى؛ أما الجزء المكشوف من الهرابة، فيحيط به سور صغير على الحافة لصد الرمال والرياح والأتربة عن الماء بداخلها، أو لحماية المستخدمين لها من الانزلاق فيها. كذلك يحتوي الجزء المكشوف من الهرابة على سلم مكون من عشر درجات من مستوى سطح الأرض إلى الخزان، وسلم آخر مكون من عشر درجات أيضًا لربط أرض الهرابة بمستوى الماء. وعن الجزء المغطى من الهرابة فمكون من أربعة أعمدة منقورة في الصخر. وقد وجد بداخلها ثلاثة نقوش نبطية؛ اثنان على الجدران الداخلية والأخير على أحد أعمدة الهرابة.

هرابة أم أشطان، (عن رحاب أباظة).

هرابة أم أشطان، (عن رحاب أباظة).

- النقش الأول كتابة قصيرة في سطرين؛ الأول (ع ل ي و ب ر)، والثاني (س...ب ر م ل ز م و).
- والنقش الثاني بحالة سيئة جدًّا نتيجة عوامل التعرية وتعرضه للمياه (س د و).
- أما النقش الثالث، فـ (س ل م هـ ن ا ل هـ ي).

الهرابة الجاهلية

أسفرت أعمال المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء عن اكتشاف تلك الهرابة، التي يعرفها البدو بـ«الهرابة الجاهلية»؛ نظرًا لبعدها عن أي تجمع عمراني حديث. وكما أشرنا أنها لا تزال تستعمل من قِبل البدو إلى الآن، خاصة في جنوب ووسط سيناء، كأداة لتخزين مياه الأمطار، وتجميع مياه السيول عبر خزانات تحت الأرض غالبًا من الخرسانة، للاستفادة منها في التجمعات السكنية، على خلاف منطقة الساحل الشمالي الغربي لمصر، والتي تستخدم فيها الآبار الرومانية في تخزين المياه. فقد كان الأنباط يعتقدون أن مياه الأمطار هي الأكثر صحية، وهذا ما أدى إلى ابتكارهم تلك التقنية لجمع وتخزين مياه الأمطار.

وتقع الهرابة الجاهلية بجبال التيه والعجمة بسيناء، في منطقة وادي العروض بالقرب من وادي العديد؛ حيث نصل إليها من خلال طريقين؛ الأول عبر مدقات جبلية وعرة بالقرب من قرية الطرفة وجبل الجلل. وهناك طريق آخر عبر منطقة البويب على بعد ١٥كم من مدخل مدينة سانت كاترين؛ حيث يتم الانعطاف من الطريق الرئيسي إلى اليمين عبر مدقات جبلية وعرة رملية، مرورًا بمنطقة علو العجرمية وجبل العروض، ثم نقب العروض، وبعدها وادي التيه أو نقب التيه.

وهي عبارة عن منطقة شبيهة بنهر جاف ومخر سيل طبيعي كبير. تحده من الجهة الشرقية بقايا جدران غير منتظمة الشكل، عبارة عن جدار كبير يتسع ويضيق أحيانًا، لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن. وكان يعمل على تأمين سير المياه إلى «الهرابة» أو الخزان الكبير. إذ يعتقد أن تلك المنطقة كانت تستخدم كمحطة تجارية واستراحة قوافل للأنباط. وقد عثر على ثلاثة مواقع بالمنطقة.

الموقع الأول: عبارة عن فتحتين متسعتين تم نقرهما في الصخر، وتمتدان من أسفل في قاع الجبل. وكانتا تستخدمان لحفظ المياه، ولا يوجد بهما أي شواهد معمارية.

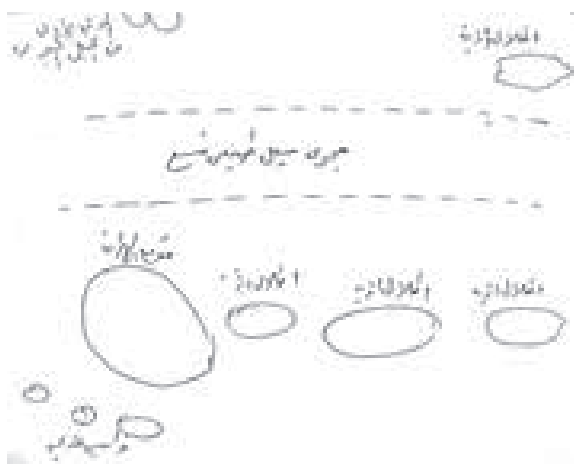

الهرابة الجاهلية بجنوب سيناء،
(عن المساحة والأملاك، قطاع الآثار الإسلامية، بوزارة الآثار).

الموقع الثاني: وهو الهرابة الكبيرة أو الخزان الكبير، وهو كبير الحجم لتخزين المياه في بطن وادٍ منخفض عن سطح الأرض بنحو ثلاثة أمتار تقريبًا. وبداخل الخزان أعمدة من الحجر الرملي بها تجاويف في الصخر؛ كي تحفظ وتجمع المياه فيها، عن طريق الأسوار

الموقع الأول للهرابة الجاهلية بجنوب سيناء،
(عن تقارير المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء).

التي كانت تحجز مياه الأمطار في الوادي. وقد اشتهر العرب الأنباط بهذا الأسلوب في تخزين المياه في المناطق الصحراوية وطرق القوافل؛ فقد عملوا على الاستفادة من الصخر قدر الإمكان. فلما كان يستعصى تهذيب وقطع الصخر أحيانًا، كانوا يضطرون إلى بناء جدران صغيرة على مسافات طويلة، مثل التي أقيمت في «السيق البارد» و«براق» والقطاعات البعيدة عن مدينة البتراء. والتجويف الصخري الكبير حول هذه الأعمدة يعد بدن الهرابة، كما لوحظ أن أرضية هذه الهرابة طينية وذلك لسرعة اندفاع مياه السيول نحو الهرابة. فقد ظهرت آثار تشقق بداخل الهرابة من قلة المياه؛ مما أدى إلى اندفاع طبقات طينية لزجة مع المياه. وتتقدم الهرابة مجموعة من الحشائش والأشجار الجبلية التي نمت بفعل المياه. وحاليًّا لا توجد آثار للمياه بالهرابة لندرة الأمطار بالمنطقة.

الموقع الثاني للهرابة الجاهلية بجنوب سيناء،
(عن تقارير المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء).

منطقة السيق البارد بالقرب من البتراء، الأردن،
(عن زيدون المحيسن).

الموقع الثالث: عبارة عن ربوة مرتفعة عن بطن الوادي، عليها أطلال مبنى مربع الشكل، طول ضلعه ستة أمتار تقريبًا. وهو عبارة عن مبنى من الحجر الرملي المحلي، أبعاده غير منتظمة؛ وهي٤٠ ×٧٠ ×٨٠ سم. كذلك يبلغ أقصى ارتفاع لأطلال المبنى خمسة أمتار تقريبًا. ويبلغ سمك الجدار مترًا واحدًا. وهو مقسم من الداخل إلى حجرات مطلة على فناء أوسط. كذلك يحيط بالمبنى مبانٍ أخرى بعضها مستدير، وبعضها مستطيل ومربع. كذلك وُجد خزان مياه صغير كملحقات للمبنى. وتم العثور على رسوم حيوانية مثل الغزال والتيتل والجمل... بالإضافة إلى كتابات عربية نبطية وثمودية ووسم إحدى القبائل العربية.

وانتشر بالموقع أيضًا أطلال لمبانٍ متعددة بعضها مربع والآخر مستطيل، ذات مساحات تتراوح بين ١٠٠م^2 و١٣٠م^2 بارتفاعات تتراوح بين متر وخمسة أمتار، مقسمة إلى حجرات ومبانٍ، ولكن

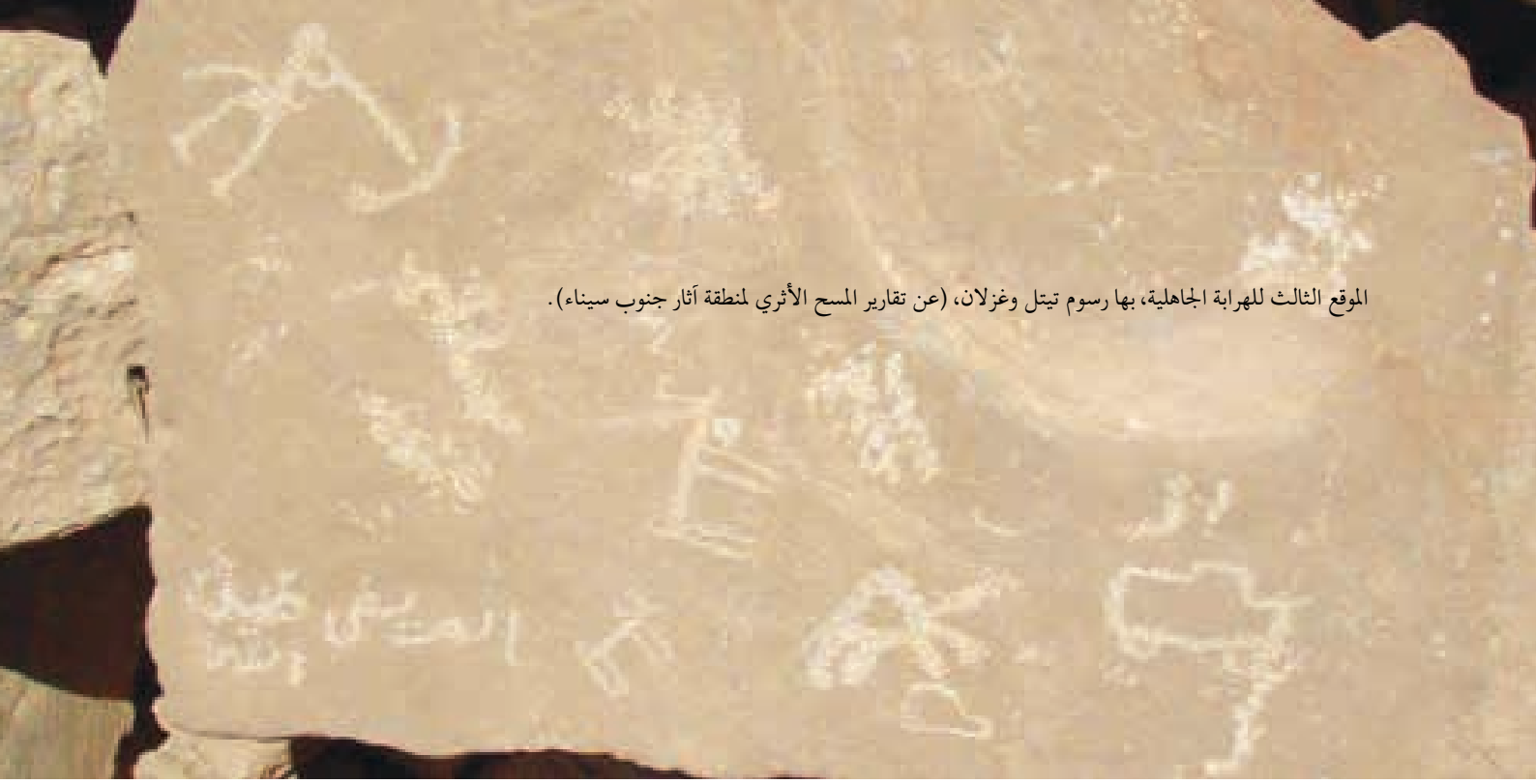

الموقع الثالث للهرابة الجاهلية، بها رسوم تيتل وغزلان، (عن تقارير المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء).

كتابات عربية وجاهلية بالهرابة الجاهلية،
(عن تقارير المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء).

الموقع الثالث للهرابة الجاهلية، والربوة العالية وعليها أطلال.

تختلف عن المبنى السابق من حيث صغر المساحة، وسمك الجدران، وقلة عدد الحجرات. وقد استخدمت تلك المباني للسكن والراحة في أغلب الظن.

وقد عثر بالمنطقة على بقايا مبانٍ حجرية مستديرة على تلال مرتفعة، وجد بها عظام آدمية وقطع قماش لتكفين الموتى، ربما كانت مدافن للمدينة، ويستدل من ذلك أن المدافن الخاصة بتلك المدينة لم تكن بالداخل، ولكن خصص لها جبانة على المناطق الجبلية المحيطة المرتفعة بعيدًا عن مجرى السيول كتلك الموجودة بمقابر وادي آجلة بوادي فيران. وقد بلغ ارتفاع جدران المقابر المكتشفة ١٣٠سم، بمتوسط سمك ٧٥ سم تقريبًا. ووجدت مقابر بيضاوية الشكل ١٢٠سم ×١٦٠سم، وأخرى مربعة بأبعاد ١٩٠سم ×٢٥٠سم.

كذلك وجدت مواقع لأطلال نواميس وبقايا مقابر أخرى ربما ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ. وهو ما يؤكد أن هذه المنطقة كانت تمثل أقدم مدينة عربية نبطية في سيناء، استخدمت للسكنى ومحطة تجارية واستراحة للتجار الأنباط، من خلال النقوش

عظام آدمية وقطع قماش لتكفين الموتى بالهرابة الجاهلية.

نواميس وأطلال ومقابر قديمة بالهرابة الجاهلية،
(عن تقارير المسح الأثري لمنطقة آثار جنوب سيناء).

والرسوم الموجودة خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين. واستمر استخدامها في العصور الإسلامية التالية. كذلك تم العثور على كسرات فخار مطلي بالمينا ذي لون أزرق وأخضر قاتم.

وخلاصة الموضوع أن الأنباط قد أقاموا خزانات لحفظ المياه في المناطق الجبلية والصخرية، تختلف في تصميمها عن الخزانات التي أقاموها في المناطق الحضرية مثل البتراء ووادي موسى. أما عن النوع الأول وهو المناطق الصحراوية والصخرية، فقد وجد مثيل لتلك الخزانات أو الهرابات في العديد من المواقع النبطية بالأردن والنقب، ولكن لم يعرفوا مصطلح «الهرابة»؛ لأنه مصطلح محلي، حيث وجدت تلك الخزانات في سفوح الحواجز الصخرية، مثل الخزانات الجنوبية الغربية في المعيصرة الشرقية، أو وسط الهضاب الصخرية، أو في الأغوار والمنخفضات الطبيعية. فقد كان الحوض يُغلق عند كل طرف بجدارين حجريين.

ويرى الباحث ضرورة إجراء المزيد من المسوحات الأثرية، وإقامة حفائر بها من قِبل وزارة الآثار، وتذليل الصعاب؛ نظرًا لبعد المنطقة عن العمران وخطورتها حاليًّا.

نقوش وكتابات عربية ونبطية وثمودية بالهرابة الجاهلية.

نقوش وكتابات عربية ونبطية وثمودية بالهرابة الجاهلية.

السيق البارد بشمال البتراء.

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وابد العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري بعده الله تعالى الفضل العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده للذرية الارشد فالارشد وذريته ذرية فاذا انقرض
الذرية ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ما ابقى الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل ما شرطه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع
من شهر جمادى الاخرة سنة ست وستين وسبعمائة